بسم الله الرحمن الرحيم

(سيد قطب مثل ابن عربي ينفي الوحدة ويثبت الأحدية)

١- قد يكون الشيخ/ عبد الله الدويش أول من نشر ردّه على سيد قطب (رحمهما الله) وإنكاره (١٨٠) من أخطائه في مؤلفه: (في ظلال القرآن). وسبقه الشيخ/ محمود شاكر رحمه الله فأنكر عدداً من أخطائه في مؤلفه: (العدالة الاجتماعية) و(معركة الإسلام والرأسمالية) بعدان أول إصداراته. والشيخ د. ربيع المدخلي هو أبرز من أنكر أخطاء سيد قطب في (عدد من مؤلفاته) فهو جزاه الله خير الجزاء خير من حذر المسلمين من منكرات فكر سيد قطب انتشاراً وقبولاً. وكان أكثر المنكرات في فكر سيد ما سماه: (أحدية الوجود) ووصفها بأنها التي (أخذ بها المتصوفة وهاموا بها وغرقوا) (وهذه مدارج الطريق التي حاولها المتصوفة) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٨٠- ٣٤٨٤، ومن أبرز من أنكرها ووصفها بأنها (وحدة الوجود) شيخ محدثي العصر المحدث/ محمد ناصر الدين الألباني والعلامة الشيخ محمد بن عثيمين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته. أما بقية كبار الصحاة: الفوزان واللحيدان والفدياني فقد حذروا من كتبه عامة.

ب- ولكن شيعة سيد قطب رحمه الله ورحمهم يدافعون عنه، ولما كانت أقوالهم في تفسيره (في ظلال) و(في الحديد والإخلاص) موبقة إلى درجة لا يستهل الدفاع عنها ادعت شيعة سيد ومنهم الأستاذ د. محمد عبد الله عزام رحمه الله أن سيد قطب رجع عن قوله بوحدة الوجود في الطبعة الثانية للظلال في تفسيره سورة البقرة ولم يصل إلى سورتي الحديد والإخلاص.

وردّ الشيخ د. ربيع المدخلي بأن الأستاذ صلاح الخالدي أبرز مؤيدي سيد قطب ومؤرخي سيرته والمدافعين عنه وكذبه في كتابه: (مدخل إلى ظلال القرآن ص ٤٨-٥٠) أن سيد قطب فسر الأجزاء الأخيرة من القرآن ومنها سورة الإخلاص التي صرح فيها بأحدية الوجود على أساس منهجه الحركي الجديد ثم أعاد النظر فيما قبلها على هذا الأساس. ثم إن الظلال طبع في حياة سيد مرات وطبع بعد موته عشرات المرات بإشراف أخيه محمد دون تغيير وبكل إصراره الحق والعدل والصواب في أن يقال: أنه نفى وحدة الوجود في تفسيره سورة البقرة ثم أثبتها في تفسير سورتي الحديد والإخلاص.

ج- وسبب للشيخ د. ربيع ثم لي التنبيه إلى أن ابن عربي قبل سيد بثمانية قرون نفى لفظ (وحدة الوجود) في أول (الفتوحات) ولم أجد ذكراً (لوحدة الوجود) بهذا اللفظ في بقية الفتوحات

وفصوص الحِكَم لابن عربي، ولا في بقيّة الظلال لسيّد قطب، بل ولا في تائيّة ابن الفارض (سرّ الإلهيّة)، بل إنّ ابن الفارض يتبرّأ من لفظ (الحلول) كما يتبرّأ ابن عربي وسيّد قطب من لفظ (الوحدة) فقال:

(وَلِي مِنْ أَتَمِّ السِّرِّ وَيْنِ إِشَارَةٌ ● مُنَزَّهَةٌ عَنْ دَعْوَى الْحُلُولِ عَقِيدَتِي)

ولكن الثلاثة ألزموا بدعوى (وحدة الوجود)، والحقيقة أنّ مصطلحات: الوحدة والاتحاد والحلول والأحديّة كلّها ألفاظ لنفيض الوحدانيّة، ولو لم نصرف لما انصرف على وجه الدقّة ما ماتت عليه أصابعه. ولعلّ وحدة الحُكم عليها بالكفر أجازت لمنكرها من علماء السنّة والتصوّف اختيار مصطلح (وحدة الوجود) دون غيره غالباً.

د- وقد اختار سيّد قطب مصطلح (الأحديّة) في مثل قوله: (إنّها أحديّة الوجود، فليس هناك حقيقة إلّا حقيقته، وليس هناك وجود إلّا وجوده) يعني: حقيقة الله ووجود الله، (في ظلال القرآن لـ. دار الشروق بعد عشرات السنين من تاريخ وفاته، تجاوز الله عنه، بل استدلّ عليها بمثل ما استدلّ به ابن عربي وابن الفارض: قول الله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى﴾.

وبيّن سيّد قطب وجه - فيما أعلم - سبب اختياره مصطلح الأحديّة فقال في المرجع نفسه والصحيفة نفسها (٦-٣٠٠٤): (وهو لفظ أدق من لفظ: واحد، لأنه يضيف إلى معنى: واحد، أن لا شيء غيره معه).

ولهذا هو ما دعا ابن الفارض إلى تنزيه عقيدته من دعوى الحلول، وما دعا المنكرين على هذه المصطلحات وأهلها للتفريق بين اثنين أو أكثر حلّ أحدهما في الآخر أو التي معه وبين ما كان أصله واحداً.

ولربما جمع جرّ لي (التصوّف) وجرّل سيّد (بشيء من اللّم والفقه في دينه) بيني وبين سيّد قطب فغلب على ظنّي مثلهم: أنّ لفظ الأحديّة أدق من لفظ الوحدة فما دونه من لفظ الحلول والاتحاد ولله الله طهّرني بفضله من الوقوع في حبائل الفلسفة (أو السفسطة) الصوفيّة الكافرة بجميع ألفاظها ومصطلحاتها، ولكنّه عافانا الله ممّا ابتلاه به بلغ به الجرأة والتخبّط والتناقض إلى العودة إلى اتحاد (ما وافق ابن عربي على تسميته الأحديّة (فهي ما يربط بين القلب البشري وبين كلّ موجود برباط الحبّ والأنس والتعاطف والتجاوب ... فكلّها خارجة من يد الله ... فكلّها إذن حسن (٦-٣٠٠٤)، [ولو كان خنزيراً أو ما دونه: وشتّان بين من ينتمي إلى البوذيّة أو اليهوديّة أو النصرانيّة أو الإسلام]؟ إذن، فلا عجب من اختياره أحديّة الوجود.

هـ - واختار ابن عربي لفظ (الأحدية) على (الوحدة) في مثل قوله:
(وجود الحق [أي الله] كانت الكثرة له وتصدر الأسماء بما ظهر عنه في العالم الذي يطلب بنشأته حقائق الأسماء الإلهية فكشف به وبخالقه أحدية الكثرة وقد كان أحدي العين من حيث ذاته... فكان مجلى صور العالم مع الأحدية المعقولة) فصوص الحكم ص...
ويزيد هذا النص الكفري وضوحاً قول ابن عربي: (وأعظم مجلى عُبد فيه [الله] وأعلاه: الهوى كما قال: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾... والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق [الله] يُعبد فيه، ولذلك سموه كلهم: إلهاً مع اسم الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو ملك أو كوكب) فصوص الحكم ص ١٩٤-١٩٥.
يقول هذا ومثله بملء كتابه (فصوص الحكم) بخاصة وغيره بعامة بينما لهو ينفي مصطلح (وحدة الوجود) كما قدمت.

و - واختار ابن الفارض مصطلح (الاتحاد) وإن أصر الشيخ د. عبد الرحمن الوكيل رحمه الله على أنه يعني (الوحدة لا الاتحاد):
(وحل في فنون الاتحاد ولا تحد ... إلى فئة في غيره العمر أفنت)
(وجاء حديث في اتحادي ثابت ... روايته في النقل غير ضعيفة)
يعني بالحديث: «من عادى لي ولياً» وفيه: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الخ. ولو كان هذا الحديث - لو صح - يعني الاتحاد كما كان المتفلسفة وحدة الله مزيّة لأنهم يعتقدون حلول الله أو اتحاده أو وحدته أو أحديته مع كل مخلوق كما قال ابن الفارض:
(وإن عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار ألف حجة)
(فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم ... سواي ولم يعقدوا عقد نية)
وابن عربي أيضاً اتكأ على هذا الحديث وهو يقول إضافة إلى ما سبق:
(قال [موسى] له [للسامري]: ﴿وانظر إلى إلهك﴾ فسماه [العجل] إلهاً بطريق التشبيه للتعليم لما علم أنه بعض المجالي الإلهية) فصوص الحكم ص ١٩٤.
وسيد قطب يرد عليهم: (وهذه درجة يرى القلب فيها يد الله في كل شيء، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله) في ظلال القرآن ٦-٣٠٠٤ دار الشروق الطبعة الشرعية بزعمهم.

ز - ويذكر الشيخ د. عبد الرحمن الوكيل رحمه الله أنه تعلم في صغره من صلوات ابن بشيش: (زجّ بي في بحار الأحدية وأنشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها) مصرع التصوف للبقاعي تحقيق الوكيل ٢٧٢ ص ٤٣.

وفي هذا النّصّ الأخير جَمْعٌ بين الأحديّة والوحدة بمعنى واحد لا اختلاف، وكلاهما استعمل لنشر الباطل من موبقات الشركيات، ولولا أني لا أختار الحكم على القلوب بما ظهر على الجوارح ودلّت عليه القرائن، لقلتُ أنّ ابن عربي بمثل قوله: (فهو [الله] عين ما ظهر وعين ما بطن ... وهو المسمّى أبا سعيد الخرّاز وغير ذلك من أسماء المحدثات) فصوص الحكم ص ٧٧. ولقلتُ أن ابن الفارض بمثل قوله:

(وقد جاء في منّي رسولٌ عليه ما • عنيتُ عزيزي حين لم أفتني)
(إليّ رسولاً كنتُ منّي مُرسلاً • وذاتي بآياتي عليّ استدلّت)
(وفي الصّحو بعد المحو لم أكُ غيرها • وذاتي بذاتي إذ تجلّت تجلّت)

والحاجز لهما على هذا الضلال في عشرات بل مئات النّصوص، إنما يريدان زعزعة الإيمان بالله في قلوب عباده وإضلالهم عن صراطه المستقيم.

أما سيّد قطب فلعلم كان يعرف بما لا يعرف وإنما سمع فقال. وهو أقرب - في رأيي - الى ابن الفارض، فكلاهما شاعر والشعراء يتبعهم الغاوون، ولعلهم يتبعون الغاوين أيضا دون تثبّت.

أما ابن عربي فهو أعلمهم، وقد يكون ممّن أضلّه الله على علم. ومن طلاب العلم بل من علماء السّلف من خدع بما في (الفتوحات) من حقّ، وخيرهم ابن تيميه رحمه الله فقد ذكر في رسالته للحنبلي: (كنتُ قديماً ممّن يحسن الظنّ بابن عربي وبقصيده لما رأيت في الفتوحات من فوائد، ولم أكن اطلعتُ على الفصوص ونحوه) أنظر ثبت مجموعة الرّسائل والمسائل ط. محمد رشيد رضا ١-١٧١ لتعرف نصّ كلامه رحمه الله فقد أُمْلِيَ عليّ من مكان بعيد وكنتُ المقصود منه. (ورأيت ابن القيّم رحمه الله اقتبس لميميته شطر بيتٍ من تائيّة ابن الفارض، وابن القيم يحثّ على استعمال ألفاظ الكتاب والسّنّة للجمع بين الحكم ودليله، إضافة الى صحّة اللغة، ولكن ابن آدم خطّاء).

ح - أمّا الشيخ د. ربيع المدخلي فيرى أنّ لسيّد قطب علاقةً بالتّصوّف منذ مرحلة رسْلَكَة وارتيابه وضياعه بلفظ صلاح الخالدي في كتابه عنه: سيّد قطب من الميلاد الى الاستشهاد ص ٢١٤-٢١٥)، يقول سيّد:

١) وليس لها غيرٌ وليس لها أنا • لها الوحدة الكبرى التي احتجبت سرّا
٢) لكَ يا جمال عبادتي • لكَ أنت وحدكَ يا جمال
فإذا عبدتُكَ لم أكن • يا أحسنَ من أهل الضلال
بل كنتَ محمود العقيد • ة في الحقيقة والخيال

٢) ويقول دفاعاً عن (النيرفانا) في عقيدة البوذيّة الهندوسيّة ويصفها بأنها (الفناء في الرّوح الأعظم): (كنا نرجو أن يكون [حسين فوزي]

أوسع أفقاً وأكثر عطاءً وأعمق اتصالاً بروح الشرق الكامنة وراء هذه المظاهر والأوضاع والروح الصوفية المتسامحة المشرقة بنور الإيمان).

٤) ويقول في مدح الصوفية الهندية أمّ الصوفية المبتدعة في كل مكان وزمان بعدها: (الهندي الذي يحس بنفسه ذرة منسجمة مع الطبيعة فيرى في فنائه في القوة العظمى حياة وبقاء وخلوداً، وعلينا أن نفهم هذا ونقف عليه ... فلنقف خاشعاً أمام هذا السمو الإلهي ولو لحظات).

وللراغب في مصرع التفاصيل الرجوع إلى (مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي ط. دار الإمام أحمد ١٤٢١، المجلد ٦ ص ١١٦-١٢٢، والمجلد ١ ص ١٦٧-١٧٢، وديوان سيد قطب، تجاوز الله عن كل مسلم موحد يفرد الله بالعبادة وينفر عن غيره. ط. وجناية الفكر وزخرف الأسلوب (شعراً ونثراً) على سيد قطب (وابن عربي وابن الفارض) تجاوزت حدود ضلال الرجل عن كهوف الوعي والفقه فيه من أهله إلى أن أضلت بهم عدداً من المسلمين لا يحصيه إلا الله، وهم ومؤيدوهم ﴿يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾.

ولكن الله يوظف بعض عباده العلماء لإثبات الحق ونفي الباطل فقد جمع الشيخ برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥) رحمه الله أقوال وفتاوى كثير من العلماء بين عصره وعصر ابن عربي وابن الفارض في كتابه (تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي) و(تحذير العباد من أهل بدعة الاتحاد) ويقال ان السيوطي رحمه الله رد الحق بعوضه: (تنبيه الغبي إلى براءة ابن عربي)، وحقق الشيخ د. عبد الرحمن الوكيل رحمه الله كتاب البقاعي ونشرها بعنوان: (مصرع التصوف) تجنباً للتعريض بالقارئ، ولهذا بحثت تحقيقه بعنوان (فلسفة ابن عربي وابن الفارض في حكم علماء القرون الوسطى وأكثرهم متصوفة) لأن من الظلم أخذ جميع المتصوفة بجريرة اثنين منهم.

ووظف الله الأستاذ محمود شاكر والشيخ عبد الله الدويش والشيخ د. ربيع المدخلي لبيان الضلال في فكر سيد قطب.

وقرئ على ساحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء وضعف سيد قطب (معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما بالكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة) فأجاب: (هذا الكلام باطني خبيث أو يهودي لعين ما يتكلم به مسلم، ومعاوية وعمرو من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم الدين ولا يشك فيهم مسلم

وما فعلوا شيئاً يعاب عليهم، وكل ما قالوه أولئك [إشارة لما قرئ على الشيخ من كتاب: كتب وشخصيات، لسيد قطب ص ٤٤، ط. دار الشروق - طبعة سرية بزعمهم] فرية وتضليل وعنوان نفاق ممن قالوه)، عند محاضرات التوحيد بالطائف صيف عام ١٤٢٦ في جامع والدة خادم الحرمين أثابهما الله الجنة.

وقرئ كلام سيد نفسه على ساحة الشيخ ابن باز رحمه الله في سب معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال: (هذا كلام قبيح وكلام منكر... وأن سبه لبعض الصحابة منكر وفسق يستحق أن يؤدب عليه، ولكن إذا سبهم أكثرهم وفسقهم: يرد لأنهم حملة الشرع، فإذا سبهم قدح في الشرع) براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع للشيخ د. عصام السناني الأستاذ بجامعة القصيم، ص ٢١. ولم يرض بقول سيد غير دولة إيران الشيعية فكافأته وأجزلت.

وقرئ على الشيخ ابن باز رحمه الله وصف سيد نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم بأنه (الزعيم المندفع العصبي المزاجي) ووصفه بـ (التعصب القومي والانفعال العصبي) التصوير الفني في القرآن، ط. الشروق، ص ٢٠٠؛ فأجاب: (الاستهزاء بالأنبياء ردة مستقلة) البراءة ص ٢٩.

وسئل معالي الشيخ صالح اللحيدان عن كتاب سيد: (في ظلال القرآن) فأجاب: (هو مليء بما يخالف العقيدة الصحيحة) وعن بقية كتبه، فأجاب: (لا تسلم العقيدة الصحيحة، ولا تقرر الأحكام، ولا يعتمد عليها في ذلك) البراءة ص ٥٢-٥٧.

وقرئ على الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله قول سيد عن الإسلام بأنه: (العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية التي تصوغ من المسيحية والشيوعية معاً مزيجاً كاملاً يضم أطرافها جميعاً ويزيد عليها التوازن والتناسق والاعتدال) معركة الإسلام والرأسمالية ط. الشروق ص ٦١، فأجاب: (لو كان حياً فيجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتداً، ولو كان ميتاً فيجب أن يتبين أن هذا الكلام باطل، ولا نكفره لأننا لم نقم عليه الحجة) الفواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم للحدادي وعنه البراءة للسناني ص ٦٠.

ولا أعرف أن أحداً من علماء السنة كفر سيد قطب (فضلاً عن الشيعة فهم يقدسونه واصدروا في إيران طابع بريد باسمه ورسمه واطلقوا اسمه على سبعة شوارع وطرق مكافأة له على سبه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وليس التكفير مطلباً لأحد، بل المهم: التحذير من قوله على الله وأولياءه بغير علم، والله الموفق ٤٢٤